[ 167 ] ويحك يا سهل، طرق النوم شفرى عيني، فأظلمت وأكلت السنة خواطري، فما ذاك ؟ قلت: طيف كريم، إن أقصيته أدركك، وإن غالبته غلبك، وأن قربته روحك، وإن منعته عنتك، وإن طردته طلبك. فنام أقل من فواق بكية (1) أو نزح ركية (2)، ثم انتبه مذعورا، فقال: يا سهل، لامر ما كان، ذهب وا ملكنا، وذل عزنا، وانقطعت أيام دولتنا. فقلت: وما ذاك أصلح ا الوزير. قال: كأن منشدا أنشدني: كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر فأجبته عن غير روية ولا إجالة فكر: بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والجدود العواثر فو ا ما زلت أعرفها فيه، وأراها ظاهرة منه إلى الثالث من يومه ذلك، فإنى لفي مقعدي ذلك بين يديه، أكتب توقيعات في أسافل كتبه لطلاب الحاجات إليه، فقد كلفني إكمال معانيها بإقامة الوزن فيها، إذ وجدت رجلا ساعيا إليه، حتى ارتمى مكبا عليه، فرفع رأسه وقال: سهلا ويحك: ما اكتتم خير، ولا استتر سر. قال له: قتل أمير المؤمنين الساعة جعفرا. قال: أو فعل ؟ قال: نعم، فما زاد أن رمى بالقلم من يده وقال: هكذا تقوم الساعة بغته. قال سهل: فلو انكفأت السماء على الارض ما تبرأ منهم الحميم، أو استبعد عن نسبهم القريب، وجحد ولاءهم المولى، واستعبرت لفقدهم الدنيا، فلا لسان يخطر بذكرهم، ولا طرف ناظر يشير إليهم، وضم يحيى وبقية ولده الفضل، ومحمدا وخالدا بنيه، وعبد الملك ويحيى وخالدا بنى جعفر بن يحيى، والعاصي ويزيد، ومعمرا بنى الفضل بن يحيى، ويحيى وجعفرا وزيدا، بنى محمد بن يحيى، وإبراهيم ومالكا وجعفرا وعمرا بنى خالد بن يحيى، ومن لف لفهم، أو هجس بنفسه أمل فيهم. قال سهل: وبعث إلي الرشيد فو ا لقد أعجلت عن النظر، فدخلت ولبست ثياب أحزاني، وأعظم رغبتي إلى ا الاراحة بالسيف، وإلا نعيت كما نعى جعفر فلما دخلت

---

(1) البكية كثيرة البكاء، والفواق المقدار أي نام أقل من مدة بكاء باكية على من تبكيه. (2) الركية: البئر ونزحها استخراج الماء منها، والمراد أنه نام قليلا. (*)